

الباب الثالث عشر أوجاع فى القلب

المقال الأول كم يضيق الصدر

هى جوانبى التى تضيق فى لحظات كثيرة، هى أضلع الصدر التى أوجعتنى، وقد أوجعتنى مرتين: المرة الأولى لم أدرك ما كان من ألم بها، إلى أن أدركت فيما بعد أنها أوجاع فى القلب، وضيق الصدر له أنواع طبية وأنواع نفسية، أما الأنواع الطبية فيه آلام الصدر المصاحبة للأزمات القلبية، وهنا أنا بصدد آلام الصدر المصاحبة لحمل الهموم، هموم الدنيا، إلى هموم يحملك الغير نتيجة تصرفات البشر، الذين لا يراعون أحاسيس الغير، إن مضايقة الآخرين لك سواء عن قصد أو غير قصد، أو من يسيء إليك، ويحملك ما لست أنت به، إن أذى البشر كثير، يكاد يطبق على صدرك، بل يجعل صدرك منقبضا، فماذا يكسب هؤلاء؟ إن من يحاول أن يعرقل الرسالة الكريمة فى عمل الخير لا فى عمل الشر فهناك كثير من أعداء النجاح، محبى سقوط الفضائل، ومحبى الرذائل، إنها النفوس المريضة التى نسيت أن الله موجود، وهو العدل، إن ظلم البشر لهو فقر العقيدة، عنوان على جباه الماكين، الحاقدين أعداء البشر المتربصين، وإن كل إنسان متربص سوف ينتهى أجله، فليتنق كل منا ربه فى معاملة الآخرين، فلم يعد إلا سويعات بحساب البشر، بل أقل إلى يوم اللقاء، وإنه لتذكرنى كلماتى بقول الله سبحانه وتعالى فى محكم آيات من سورة الحجر {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ} (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}. (٩٩)، لقد وصف الله تبارك وتعالى علاج ضيق الصدر لرسوله الأكرم، صلى الله عليه وسلم، فى كتابه الكريم كما فى الآيات السابقة، فالعلاج الأول « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ »، سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر، وفى الصحيحين عن أبى هريرة -رضى الله عنه - قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان

على اللسان ثقيلتان فى الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم». رواه البخارى، والتسييح ليس باللسان فقط بل ذكر القلب واللسان، فاشغل اللسان بالحق حتى لا يشغلك بالباطل، والعلاج الثانى المصاحب للتسييح هو الصلاة {وكن من الساجدين}. واقرب ما يكون العبد من ربه وهو فى لحظة ذله بالسجود، فالقرب من الله سبحانه يكون بالسجود {كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}. سورة العلق، أما الوصفة الثالثة فهى الاستمرار فى العبادة دون كلل أو يأس، حتى يأتى اليقين، واليقين هنا الموت، وتذكر قول الله تعالى: {ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيل}. سورة الأحزاب.

والتوكل هنا هو الاعتماد وتفويض التدبير إلى الله، فإن الله هو الوكيل الكافى فى الوكالة، أى المجزى من توكل عليه ما وكله عليه :

أوسع ما بصدرك وقل لى لم هى بداخلى تضيق؟

تطابقت الأضلع جوانبى كيف لى هما يطيق؟

سبحان من خلق الأضلع بذكره من جوانب تفيق

فسبح ربك واسجد برأسك ترى صدرا بقاء ما يضيق؟

و تأمل بذكر ربك باليقين تجد صدرك هما يطيق

يا نفس فرج الصدر بكاء ودار المرء فينا تستفيق

كم كسبنا من مال جمعنا وكم أضعنا بحرا كم غريق؟

أين ذوو سلطان بقى على أرض رحبت فلم الضيق؟

كم من المدائن نرى كم صارت خرابا وكم منه يستفيق؟

المقال الثانى اللياقة فى الحرف والسلوك

إن من أصعب ما يكون هو استقبال اللا لياقة و اللا أدب حوارا: حرفا، صوتا، سخرية، برودا، تجاهلا، أو تصرفا، ينم على أشياء قد تكون حقيقية وقد لا تكون كذلك، فينشغل العقل، ويتحفز للرد، ويجد الشيطان منها وسيلة سريعة لنمو مستعمرة بكتيرية من الكراهية حتى ينزع الحياء من وجوه الكثير، الكلمة طلقة لا ترد فى وجه الآخرين، فإن أصابت صابت، وإن طاشت عابت، والفعل خنجر يقصم الظهورك

وعجبا من لفظه أنت داركه

لا تعلم من يصيب وأنت بالسهم صائبه

قل للسان امسك ما بالصدر معاتبه

إن الكريم فى اللفظ تبدووا محاسنه

وان البذية فى القول تكثر معايبه

نسينا الأمس واليوم منا نباعده

إن الجميل نكران عشرة نحن بايعه

لا تحسبن الذوق الجميل يخلو متاعبه

وسفيه القول لا يدرى مكانا كان مولده

سلوك الإنسان فى حياته مع غيره سلوكا مُتَّسِمًا بالأدب، والسلوك والآداب من شؤون الحياة والأحياء، شربا واكلًا وقولا وفعلا واستئذانا ومحادثات ولباسا ومعاملات وضبطا للمواقيت، وما أجمل أن نقرأ فى سيرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، بعث ليتمم صالح الأخلاق ومكارمها، إن ديننا الحنيف يعلمنا

فى آياته كيفية بناء حسن الخلق وسداد السلوك وذوق فى التعامل الرفيع ، إن أدب النفس ورفعة الذوق وجمال التعامل ، ومراعاة المشاعر وحسن المعاملة مقصد شرعى من مقاصد الدين العظيم ، فالذوق هو مسلك طيب وتصرف حميد يعنى جمال الأدب ، وعلو الرقة وحسن العشرة وكمال التهذيب ، فما أصعب ما نراه من تصرفات أو سلوك سواء من فعل أو قول أو إشارة تجرح الآخرين ، وعلينا أن نتفهم ذلك ، واعلم قول الله **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** - غافر (١٩) - إن الكلمات من وراء القصد فى الصدر ومهما أوتى الإنسان من قدرة على فهم الآخر إلا انه لا يصل إلى ما وراء القصد ، فالنفس الأمانة تلعب دورا بين الطرفين ، حتى تنشر براثن العداوة والكراهية ، وللأسف كثير منا لا يجيد استخدام اللفظ ولا التصرف إلا من رحم ، إنه الغباء الاجتماعى ، فى حظيرة الحيوانات المفترسة ، ان الشر يحبون لين الجانب ، والقلوب تقبل على من تواضع لها ، واللسان المهذب يعطف القلوب ويمهد لقبول كل نصح أو إرشاد ، إن الله سبحانه وتعالى يرزق العبد ذوقا راقيا وتهذيبا رقيقا ليستمتع بالحياة وقد يحضرنى قول جدتى (يا بنى اللفظ سعد) ، ويا ليتها دامت أيام جدتى ، لما نسّمعه من الآخرين دون حياء أو اسحياء وتبجح ووقاحة تملأ الوجه ، ونسى الكثير أن الحياء شعبة من الإيمان .

ألم يتعلم الإنسان المسلم من كتابه الله سبحانه وتعالى (**قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى**) [البقرة: ٢٦٣] . فقد فضل القول بالمعروف عن الصدقة بل إن مفهوم الصدقة فى ديننا أوسع من التصدق بالمال ؛ فتبسّمك فى وجه أخيك صدقة ، وإرشاد الضال صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وبصرك للرجل رديء البصر صدقة .

ولنا فى شريعتنا الكثير أن هناك من البشر ، إلا من رحم ، يعجزون أن يربطوا بين حسن التعبد وحسن الخلق وسُمُو الذوق ، فترى هذا المتعبد يحرص على العبادات فى أوقاتها وهيئاتها ، لكنه قد يرتكب أعمالا يابأها الخلق الكريم ، ومن لم تزكّه عبادته وتهذّب به ديانته فما الذى حصله يا ترى؟! وخبر المفسس عندنا - أهل الإسلام - معلوم ، وهو من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا . وحينئذ يكون القصاص ؛ فأين حسناته؟!

إنها قضية الخلق والذوق واللياقة، إذا كنت ترى في أذى الكلمات عليك الكثير فانظر إلى من يفعل ذلك، فهو يكذب كثيرا، ويخلف، ويغدر انه من بنيان الأنا، وان من الملاحظ كثرة الأكاذيب والأقاويل، وهى من باب عدم اللياقة، وأغلب الكذابين كالحى الوجه، بآدى الشر، قريب العدوان، إن اللياقة والأدب العالى يكون فى الزيارات والاستئذان من جميع الأعمار فى طرق الأبواب، بغير عنف، وعدم الوقوف مقابل الباب، فإنما جُعِل الاستئذان من أجل البصر، وتخيُّر أوقات الزيارة، (وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ) [النور: ٢٨]، والجلوس حيث يجلسه صاحب البيت، أو حيث ينتهى به المجلس حسب الأحوال. والقوم أعلم بعورات بيوتهم، ولا يُقيم أحدًا من مجلسه ليجلس فيه، وفسحوا يفسح الله لكم، (وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا) [المجادلة: ١١]. ولا يتناجى اثنان إلا باذن الثالث؛ فإن ذلك يحزنه، (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) [النور: ٥٩]، والذين لم يبلغوا يستئذنون فى العورات الثلاث: من قبل صلاة الفجر، وحين وضع الثياب من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء.

لقد قال أهل الحكمة: «الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب؛ بل إن من قعد به حسبه نهض به أدبه». والأدب وسيلة إلى كل فضيلة، وذريعة إلى كل شريعة. يقول أبو جعفر المنصور: «إن أحببت أن يكثر عليك الثناء الجميل بغير نائل فالتهم ببشر حسن».

والذوق الرفيع ليس ضعفا؛ فالرجل الكريم يُفضّل أن يريق دمه على أن يريق ماء وجهه، والعاقل فى حضرة الرجال يحكم سلوكه، ويضبط تصرفه، يتكلم بقدر، ويتصرف بذك، وإن تمعر الوجه واهتزاز المشاعر فى بعض المواقف دليل سمو كامن وطبع كريم. ولنتذكر قول الله تعالى (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيمِ) [لقمان: ١٨، ١٩].

نستغفر الله العظيم، ونسأله أن يمكننا من حفظ اللسان، ونستغفره من كل ذنب وخطيئة، انه الغفور الرحيم نختم قولنا بآية (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) سورة القلم، إنها الأخلاق واللياقة، فهل ستندثر مقابل الأنا؟

المقال الثالث كم يضيق الصدر فينا

هى جوانبى التى تضيق فى لحظات كثيرة، هى أضلع الصدر التى أوجعتنى، وقد أوجعتنى مرتين، المرة الأولى لم أدرك ما كان من ألم بها، إلى أن أدركت فيما بعد أنها أوجاع فى القلب، وضيق الصدر له أنواع طبية وأنواع نفسية، أما الأنواع الطبية فيه آلام الصدر المصاحبة للأزمات القلبية، وهنا أنا بصدد آلام الصدر المصاحبة لحمل الهموم، هموم الدنيا، إلى هموم يحملك الغير نتيجة تصرفات البشر، الذين لا يراعون أحاسيس الغير، إن مضايقة الآخرين إليك سواء عن قصد أو غير قصد، أو من يسيء إليك، ويحملك ما لست أنت به، إن أذى البشر كثير، يكاد يطبق على صدرك، بل يجعل صدرك منقبضا، فماذا يكسب هؤلاء، إن من يحاول أن يعرقل الرسالة الكريمة فى عمل الخير لا فى عمل الشر فهناك كثير من أعداء النجاح، محبى سقوط الفضائل، ومحبى الرذائل، إنها النفوس المريضة التى نسيت أن الله موجود، وهو العدل، إن ظلم البشر لهو فقر العقيدة عنوان على جباه الماكربين، الحاقدين أعداء البشر المتربصين، وان كل إنسان متربص سوف ينتهى أجله، فليتنق كل منا ربه فى معاملة الآخرين، فلم يعد الا سويغات بحساب البشر بل أقل إلى يوم اللقاء، وانه لتذكرنى كلماتى بقول الله سبحانه وتعالى فى محكم آيات من سورة الحجر وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)، لقد وصف الله تبارك وتعالى علاج ضيق الصدر لرسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم فى كتابه الكريم كما فى الآيات السابقة، فالعلاج الأول «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ»، سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر وفى الصحيحين عن أبى هريرة -رضى الله عنه - قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على

اللسان ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» البخارى، والتسبيح ليس باللسان فقط بل ذكر القلب واللسان، فاشغل اللسان بالحق حتى لا يشغلك بالباطل، والعلاج الثانى المصاحب للتسبيح هو الصلاة (وكن من الساجدين)، واقرب ما يكون العبد من ربه وهو فى لحظة ذله بالسجود، فالقرب من الله سبحانه يكون بالسجود (كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (١٩) «سورة العلق، أما الوصفة الثالثة هو الاستمرار فى العبادة دون كلل أو يأس، حتى يأتيك اليقين، واليقين هنا الموت، وتذكر قول الله تعالى (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا). (ص : ٥٨) والتوكل هنا هو الاعتماد وتفويض التدبير إلى الله، فإن الله هو الوكيل الكافى فى الوكالة، أى المجزى من توكل عليه ما وكله عليه.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اجعل عملنا كله خالصا لوجهك الكريم اللهم لا تجعلنا ممن ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين آمين.

المقال الرابع سيمفونية النفاق

دعيني أناديك اعزف على أوتار لسانك سيمفونية، شُبهة الخداع، يا أرضاً كم رأت عيناى الكثير، ضاع أمامى الرمز، وضاعت معه القمم، إنها أرض النفاق، انتشر الفساد كجراثيم عنقودية يطال بها من يلمس جسدها النحيل وعقلها الماكر المتفجر كالأنثى حين ترغب فى اللقاء، أما قل فىك الحياء، نزع من عيون البشر، إنه خداع النفاق يترك خلفه جرحاً يصعب التئامه، يحتاج إلى صبر أيوب «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (الأنبياء: ٨٣)، نحن فى عصر ابتلاء أيوب، إن سيمفونية عطن النفاق المستشرى بين القمم، الذين وضعوا فى نهرنا العذب، حبوب الغش والنفاق والخداع فقد تلوث النهر وشرب منه من شرب، انه السم القابع فى مخلوط الطمى فى قاع النهر الخالد، لوثوه، بعثروا روافده فى سيمفونية القدوة الشاذين أخلاقياً المنحرفين فى أبواب تحالف الشياطين، لقد توضع الفسدة بماء غير طهور انه ماء الرشوة والمحسوبية، وصبر أيوب يعانى منه الكثير: «وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ» ٤١ «ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ» (٤٢) سورة ص.

متى نضرب بأرجلنا فى مغتسل الطهارة، إن الانحراف المتعاضم طال كل مناحى الحياة، مناحى الخلق، وخيانة الأمانة، والانحراف يتعاضم، وطن وارض تتضخم وتتخم بطون الكلاب المسعورة تلتهم أقوات المعدومين، إنها حالة الجبن فى خواء إنسان عج فى أركانه سوس الفساد، فهل نحتاج إلى منطقة عزل طبي للانحراف، هل نعلن أن أرضنا صارت أرضاً موبوءة بالنفاق، فالنفاق شر الأمر وبليته، إن آيات النفاق فى قائمة الأمراض، فى كتاب طب النفوس، فهل لنا من طبيب يشخص لنا النفاق الذى معه تنحرف القيم، إنها مداخل

الشیطان فی النفس، لقد قمت بتخیل وصفی لأعراض النفاق حین أخذت عینة من ماء النهر المذاب بداخله الأمراض الاجتماعیة التی وصلت بنا إلى هذا الحال، فلننظر إلى جسد البشر المكون من القلب، حین ینحرف فیمرض، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة آیه ٩، هذا الجزء الأول من الجسد، الجزء الثانی فی الهیکل البشری هو الطمع الشهوانی المتمثل فی لین القول ومرض القلوب واتباع الشهوات فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) الأحزاب، إن ما وصلنا إليه وما فعله بنا الشیطان أوصل نهرنا إلى الفساد فتجرعنا الكثير وصارت الفتنة الكبرى لهذا العصر. إنها فتنة المنحرفین المفسدین المرتشین،

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) الحج، ان التستر على ما يحدث للإضرار بهيكل الأمة لهو أمر عظيم يحتاج مجاهدة كبرى «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ» وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ سِوَاللَّهِ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» (١٠٧) التوبة، إن ادعاء الإصلاح من بوق الكذب من الثلة المنحرفة التی تهدم فی جدار النهر ليشيع الفساد بيننا فی جسد الأرض الطيبة لهو أمر جليل وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) البقرة

إننا فی شط السفه، فی شط العجائب فی قارب ملوث من نهر لوث بيد العابثین وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) البقرة

إن سيمفونية النفاق هي من النفاق هي منظومة الفساد والإفساد بين البشر ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: ٤٧).

إنه الزيف الأخلاقي في كتاب النفاق المدرج تحت عنوان الانحراف العظيم، لك الله يا ارضى، لك الله يا نهري، لك الله يا ولدي سأودع الدنيا أسفا على

ما رأيتَه من الأكاذيب والنفاق، وان هؤلاء الشرذمة مصاصى دماء البشر منعدمى الخلق والخلق أما ينطبق عليهم قول الله إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) (المائدة)

إن الغفلة إذا أتت من العلماء، و بدأ الظلم فى أولى الأمر، وشيع النفاق فى الفقراء صار الفساد عنوانا، إن ما يحزننى فيما أراه هو السرقة عينها، يا بنى إنهم سرقوا عمري وعرقى، و حرىتى، وكيانى فلا تسمح أن يسرقوك وعدلك يا رب، عدلك يا رب، عدلك يا رب.

المقال الخامس العبوس فى العين ضيق وحسد بالقلوب

هل سالت نفسك يوما، ما تأثير العين حين ترى أشياء، تحرك بداخلك الاضطراب، وتفسد يومك، هل رأيت طلقات العبوس من الآخرين فى محياهم العابس، الكالح الكئيب، وكأنه يحمل على ظهره قنطارا من اسوداد (العبوس)، يرغب فى توزيعه، فإن العابسين مرضى فى القلوب، والعبوس مرض نفسى، يصاب به كل حاقد وحاسد وغاضب من نفسه، وان أى مُقَطَّب فى وجه أخيه، يبعث فى قلب الآخرين ضيقا، فلماذا نزرع الكراهة فى وجه الآخرين.

ان من العبوس مترادفات كثيرة فى حياتنا منها كالح، مُغَمِّم، تَجَهُّم، تَكْشُر، شَتِيم، وهناك الكثير من المترادفات تجتمع تحت مسمى واحد ألا وهو العبوس، والعبس هو جمع جلد ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهم أى عبس وهذا هو العبوس وصفا. والعبوس من علامات الغضب والضيق، فلماذا نصدر غضبا وضيقا فى وجوه الآخرين إنها صورة منفرة.

وفى المقابل نرى عكس العبوس، الشخص الطلق، الباش، البشوش، طلق المحيا، المبتسم، المتهلل، المنفرج، إنها رياحين الورد حين تطلقها فى عيون الآخرين.

إن الفرق بين البشاشة والعبوس كالفرق بين النقاوة والاتساخ، فالبشاشة كمن يوزع الورود برائحتها الطيبة، وأما العبوس فهو الاتساخ حين يطلق العابس رذاذا على الآخرين فيعيب الثوب، يلحق به الأذى. إن القلوب تجمعها ابتسامه وتبعدها وتفرقها عبس وجه، ولسان مستحرا، فاتق العبوس ولسان مبرد استحر على الآخرين.

إن القلوب المغلقة لا يفتحها إلا ابتسامه جميلة، إنها كسحر الذهب اللامع فى العيون، إن الابتسامه هى دواء الحزن فى قلوب الآخرين، والعبوس عكس ذلك، فهل سألت نفسك يوما، لماذا العبوس وهو أذى فى قلوب الآخرين، لماذا

لا تكون بش الوجه، تأخذ الأبواب معك، إن البشاشة كنز القوانين الطبيعية، فالبشاشة اقوى قوانين الجاذبية للقلوب والأرواح وعكس ذلك العبوس، ألا سألت نفسك لماذا نحجب جمال الابتسامة عن الآخرين، إن من يعبس ويتهجم فهو مسيء للآخرين، يصدر له النكد، يعكر صفو الآخرين انه شخص مؤذى للآخرين، انه مصدر الأذى، مصيب الآخرين بمرض الكآبة، انه شخصية مريضة، تبث فى تعاملها الجانب السلبي على الآخرين.

إن لياقة التعامل واجبة بين الناس، وإننى وما زلت أرى أن كل ما هو مخالف للفطرة ومناقض للحسنى ما هو إلا ضعف عقيدة، وان ضعف العقيدة هو ضعف الإيمان ولو كان الشخص العابس يؤمن بأنه سوف يلتقى بمن عبس فى وجهه فى الآخرة فى محكمة الآخرة ويسأل لما فعل هذا ولذلك، فضعف العقيدة ضعف إيمان قد يصل إلى الشك فى إيمان العابس. أين رقة القلب، إن القرآن الكريم قد وصف فى آية ١٥٩ فى سورة آل عمران حسن التعامل (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: ١٥٩].

إن مفاتيح السعادة للآخرين من أسباب سعادتك فى الدارين، فكن باش الوجه، لينا، هينا، ولا علاقة بذلك مع ما تعتقده من فقد هيبتك المزعومة، فإن القلوب تجمعها ابتسامه وتبعدها وتفرقها عبس وجه، ولسان مستحرج، فاتق العبوس ولسان مبرد استحرج على الآخرين.

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق».

إن من الأمراض الحالية والتي نعانى منها الوجه العابس المريض نفسيا، والمبتسم ذو الابتسامة الصفراء المصطنعة، التى تخفى وراءها الكيد والمكر، إن الشياطين تعبت بالوجوه، فتجنّب عبث الشيطان فى قلبك ووجهك من ابتسامة صفراء بداخلها المكر، أو عبوس وجه يلون وجهك بلون أسود أكثر مما هو فيه

نَقِ الْقَلْبَ مِنْ اسْوَادٍ تَصْنَعُ
تَغْنَمُ لَذَّةَ عَيْشٍ طَيْبَةٍ
إِنَّ السَّوَادَ فِي الْقَلْبِ رَأْنُهُ
مِنْ عَيْسٍ وَجْهِ مِنْكَ حَصَادُهُ
فَأَضِيءِ الْوَجْهَ مِنْ نُورِ إِيْمَانِهِ
إِنَّ الْعَبُوسَ يَطْرُدُ الْإِيْمَانَ غُلْفُهُ

إن إطلاق العبوس في وجه الآخرين، كمن يطلق الأذى في طريق الآخرين، فهل تعلم أن الابتسامة صدقة في وجه أخيك، وهل تعلم أن وجه الإنسان يحتوى على أكثر من ثمانون عضلة، وإن كل هذه العضلات تتحرك جميعها عند الغضب، والغضب ناتج من عبوس الآخرين في وجهك أو من تصرفات وبذاءة الآخرين من طول لسان أو تصرف أحمق، إن مثل هؤلاء خدام الشيطان، يعبت فيهم كيفما شاء، إن على رؤوسهم الشيطان، يلبسهم العبوس من جلد الكراهية.

ولمعرفة قيمة العبوس وأهميته وتأثيره علينا أن نقرأ ما قيل في تفسير قوله تعالى : «عبس وتولى» قيل نزلت الآيات في عبدالله بن أم مكتوم، وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبيا وأميمة ابني خلف يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم، فقال : يارسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدرى أنه مشغول مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله لقطعه كلامه، وقال في نفسه : يقول هؤلاء الصناديد : إنما أتباعه العميان والعبيد، فأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال : «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي» ويقول : «هل لك من حاجة»، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين، وقيل : إن ما فعله الأعمى كان نوعا من سوء الأدب، فحسن تأديبه بالإعراض عنه إلا أنه كان يجوز أن يتوهم أنه إنما أعرض عنه لفقره، وأقبل عليهم لرياستهم تعظيما لهم، فعاتبه الله سبحانه على ذلك، وروى عن

الصادق عليه السلام أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال : مرحبا مرحبا، لا والله لا يعاتبني الله فيك أبدا، وكان يصنع فيه من اللطف حتى كان يكف عن النبي صلى الله عليه وآله مما يفعل به»

إن للعبوس والإهمال في التعامل تبعات مدمرة على المجتمع والعلاقات الاجتماعية، وهي تعمل على تنافر القلوب، والعبوس مضعف المودة، وإن المستفيد من قصة عبد الله بن مكتوم، وبالذات من يتولى مكانا يتعامل فيه مع جمهور أو موظفين تحت قيادته فإنه عليه ان يتعامل معهم بكل حسنى ولين ويتذكر الآية: (عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤)) (عبس: ١-٤). لقد ذكر القرآن الكريم الصفات القبيحة، فى نصائح لقمان لابنه: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ). (لقمان: ١٨-١٩).

إن العبوس هو أذى كبير، أذى نفسى كبير، ومنفر للقلوب فلا تكن ترسا من آلة العبوس، واعلم انك سوف تغادر الدنيا عبوسا إلى آخره ليس للعبوس فيها مكان، فاتق الله فى تعاملك مع الآخرين (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ). (آل عمران: ١٥٩). اللهم لا تحرم سعة رحمتك، وسبوغ نعمتك، وشمول عافيتك، وجزيل عطائك، ولا تمنع عنى مواهبك لسوء ما عندى، ولا تجازنى بقبيح عملى، ولا تصرف وجهك الكريم عنى برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم لا تحرمنى وأنا أدعوك... ولا تخيبنى وأنا أرجوك. اللهم إنى أسألك يا فارح الهم، ويا كاشف الغم، يا مجيب دعوة المضطرين، يا رحمن الدنيا، يا رحيم الآخرة، أرحمنى برحمتك. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وبك خاسمت وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وأنت المقدم وأنت المؤخر. لا إله إلا أنت الأول والأخر والظاهر والباطن، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم.

المقال السادس

نقص التأمل مُنكر الصدق في كفتي ميزان

جلست أتأمل، وسألت نفسي، ما معنى التأمل؟ وما الهدف منه؟ وما نتيجته؟ التأمل باب الحقيقة المخفية التي قد لا ندركها من تصرفات قد تكون على غير الحقيقة، قال تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) غافر- ١٩

وإن التأمل في الأشياء هو مجرد استغراق ذهنى يستسلم الإنسان لما يمر فى خاطره من معان أو أفكار أو أحداث، وهو أمر يحتاج إلى التركيز الذهني وان صح فإن الاستغراق المتتابع للحدث يولد بداخلنا صورة كبرى أو صغرى حسب اتساع المستغرق فى تكوين الصورة حسب الغرض، فهناك تأملات فلسفية وهى حالات ذهنية واعية يكون فيها الفكر مستسلما لذكريات وصور مبهمه، وإن التأمل الذاتى أو الباطنى هو الملاحظة الداخلية للحالات الشعورية أو الانفعالية التى يحس الفرد بها، وإن تكرار الظواهر أمام العين قد يكون صورة ذهنية ما، وان أسوء الصور الذهنية هى لمن لا يجيد التعبير عن تصرفاته أمام الآخرين، الذى يولد تناقضا فى التأمل، فيكون الحكم مشوشا، قد يؤدي إلى الاضطراب السلوكى، والتشويه السلوكى وهو من الكذب المتكرر، وان الصدق هو لوحة متكاملة الألوان والنقاوة. وإن تأمل الشيء فى الحقيقة ما هو إلا تدبر فى الأمر مرة بعد مرة فى تكرارات قد تكون لا نهائية، لكى نستيقن ما يجرى، فالنظر إلى ما هو حولنا بغرض الاتعاط أو الفهم أو الإدراك ما هو الا استعمال لكل من الفكر مع العقل، وفى كثير من الأحيان فالقلب يكون بداخله عقل يدرك يستشعر ويستدرك الأمر، والعقل والفكر مترادفان (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا) الحج - ١٧٩.

لقد أودع الله فينا جهاز الإدراك، ومن الأهمية بمكان أن يتم استخدام العقل الإدراكى لما خُلق له، وليس لما يستخدمه البشر فى تحقيق مصالحهم أو الإيقاع فيما بين بعضهم البعض، أو للتأمر، أو الاستغلال لحاجة فى ظاهرة التآمر

الإدراكي، إن جهاز الإدراك بداخلنا خلق لكي نتأمل في الكون وفيما يحيط بنا ليزداد بداخلنا اليقين والإيمان، فالعين ترى والعقل يستيقن والقلب يصدق، وما غير ذلك ما هو إلا كذبا وافتراء، والتدبر في خلق الله وما حولنا أمر من التدبر الذي يزيد الانضباط داخل آلة الإدراك العقلي، إن استخدام التأمل في تدبير شر أو حدوث وقبحة كمن يستخدم شيئاً في غير هدفه الأصلي، فاستخدام الإدراك العقلي في غير محله هو تزوير وتزييف الحقيقة.

إن الإنسان المفكر صاحب جهاز الإدراك الواعي هو أقرب إنسان إلى الحق والصواب لأن عقله يعينه على الحقيقة، إن التأمل الذي يصل بنا إلى الحقائق في بعض الأحيان، هو جزء أخلاقي من سلوك الإنسان، ولك أن تتخيل ماذا يكون الكون عليه في ألا يكون هناك خشية الله في سر أو علن، أو أن تفر كلمة العدل في الغضب والرضا، أو في قطع الأواصر بيننا، أو ان يبتعد العفو بيننا، أو أن يتكون الصمت فيتحول ليصبح ثرثرة، فأى عبرة من التأمل حين تخرج عن قواعد الأخلاق الإنسانية لتدفع الأخلاقيات إلى الأمام. إن التأمل بوابة الإيمان. فما أجمل صنيعاً من صنع الله في هذا الكون ونحن نفسه؟

وصدق التأمل، يخرج منه أجمل فطرة في التحدث كأن تصدق في الحديث بالمودة، وان المصادقية هي انطباق في قول المعلن مع الضمير معاً، ومتى انحرف شرط في القول والفعل لم يكن الصدق والمصادقية تامة فهي على حافة الانهيار.

إن الصدق خير لنا من الكذب، فكما يخبرنا الله تعالى: «طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأُمُورَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» سورة محمد ٢١، إن الصدق هو باب التقوى في الفعل والعمل فأين نحن من هذا، أين نحن في استخدام المدركات الحسية في التأمل من الآية ١٧٧ من سورة البقرة (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) إذن في وصف الصدق (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) هنا ارتباط الصدق بالتقوى.

إن أخطر ما فى عدم تطابق القول والفعل، والكذب وجه النفاق، وهو تعبير عما ليس فى النفس، وزينة قلب بما لا ترتديه فى حقيقة، وإظهار ما هو مخفى ومبطن على غير الحقيقة، إنها ازدواجية الإدراك الشرير فى وجه النفاق الجاثم على قلوب البشر وماذا منقول غير واحسرتاه على جزاء من يتصف بذلك (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) الأحزاب آية ٢٤

ان الانسجام الداخلى مع النفس لا يتأتى الا بمصالحة ومصارحة النفس مع النفس فإن الصدق فى معاملة البشر هو استقامة نفسك مع وجدانك المتأمل، والصدق ناج لصاحبه يوم القيامة كما جاء فى كتاب الله (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) سورة المائدة آية ١١٩

إن المتأمل فيما حوله، فى جسمه الذى خلقه الله، لوضعنا أيدينا على سر الإيمان، ولننظر كيف نرى المستقيم من حولنا والمنحرف وما نهاية كل منهما، تأمل فى مجالات كسب المال، تأمل فى العلاقات الاجتماعية، تأمل فى مكافأة الصدق مع الله، إن المتأمل فيما حوله يصل إلى أن كل إنسان يأكل مالا حراما سوف يدمره الله عز وجل، فصدق الحقيقة من الشواهد التى تحتاج إلى التأمل. والتأمل فى ميزان الصدق هو كفة الإيمان فى الميزان، فماذا عن الكفة الأخرى؟ الكفة المغايرة الأخرى هى الكذب وما يحمله من سوء الحساب والعقاب، ان الكذب يناقض الإيمان، فالصدق إيمان، والكذب يخرج صاحبه من عقيدة الإسلام، والكذب فيه من الكفر، فهناك كفر التكذيب وذلك بالاعتقاد فى كذب الرسل وبما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا والدليل قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ» العنكبوت: ٦٨

وثانى كفر الكذب هو كفر الإباء والاستكبار، وهو عدم الإذعان بالأمر استكبارا وعنادا وهو يعلم بصدق الأمر والدليل قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (البقرة: ٣٤).

أما كفر التكذيب هو التردد وما يعرف بأنه كفر الظن وهو ضد الجزم واليقين والدليل قوله تعالى: **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ سَوَاكٍ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا**». الكهف: ٣٥-٣٨.

أما كفر الإعراض والكذب المطلق، هو التعريض بالسمعة والدليل قوله تعالى: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ**». الأحقاف: ٣.

نأتى بالأخير من كفر التكذيب وهو النفاق والنفاق كما سبق إيضاحه إظهار غير ما يبطن والدليل قوله تعالى: **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**». (المنافقون: ٣).

إن المتأمل لكفتى الصدق والكذب يستطيع أن يتأمل داخل نفسه ليعرف موقعة من النص الإعرابى فى دنيا النحو اللغوى من قاموس الحياة.

وإن الكذب إنكار الصدق على غير الحقيقة قال تعالى: **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ النحل: ٨٣**.

إن كفة الميزان تحتاج إلى أن تميل بنا إلى الصدق، وانظر إلى الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ من سورة الأحزاب (**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَلْتَظِرُّ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا (٢٥)**).

نسألك اللهم جدد الإيمان فى قلبى، اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان. فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «إن الإيمان ليخلق فى جوف أحدكم، كما يخلق الثوب»، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان فى قلوبكم، آمين .

المقال السابع الوفاء

عنوان يؤلم الكثير، كم هو موجد في ذاكرة البشر، هذا المعنى النادر، هذا المعنى المفقود، المعنى في مترادفات الحياة والذي يأخذ أشكالا شتى، منها ما يكون الصدق وفاء، ومنه ما يكون الوفاء عكس الخيانة، ومنه ما يكون النفاق فيه، انه خنجر الظهر حين يغيب الضمير داخلنا، حين يغيب الصدق في زمن التمنى، إنه التبسم المبكى، والوهم الساخر، حين يعتقد الكثير أن الوفاء بلاهة العظماء، حين يعتقد البعض أن الفهلوة هي معيار البشر، وإن الوفاء يتحول إلى شخصنة المصالح، إنها السخرية التي نعيشها في عقائد ضالة، لا تخش ربا، ولا تخش ميثاقا وعهدا، إنها حضارة الشخصنة البحتة في ظل غياب العقيدة الحقة، إن إنكار العهود أو الموائيق لهو أمر يخرج الإنسان من عقيدة الرجوع إلى الله وإننا مهما انتظرنا، فكلنا في صف الانتظار حين نجر ومعنا كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وصدق الله تعالى في قوله «وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) الكهف

إن إرهابات القلب توجعني كثيرا، فحين تناولت العنوان، افرز اللسان، بعضا من أبياتى، بينى وبين نفسى، فقلت فيها:

كم أنت توجعنى
حين يدق القلب يسألني
ما بك فى زمن التمنى
فقلت الخير فى الوفاء عندي
فضحكك متبسما يبيكي

وقال واهم أنت ولا تدري
فقلت لم تسخر مني
فقال ما سخرتني غير حظي
فقلت أوجعني كثيرا قلبي
فقال هل بقى من بشر بجنبي
فقلت هل يبقى البشر بعهدي
فقال قليل يعلم ومن غيرهم قل لى ؟
فقلت يا غدرا من جن وانسي
هذا صديق فى الدنيا وذاك عدوى
وكم منهم تجمع بينهما ضدى ؟
فنعودك ربي من إنس وجنى

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦). (الناس: ١-٦).

فى مقالى هذا سوف أتكلم عن الوفاء من مفهوم عقيدتنا السمحة، فالوفاء من الفطرة السليمة والفطرة النقية، كالماء النقى الصافى، والوفاء هو التزام أمام الله وليس أمام بشر، فمن يعامل الله، فى خلق حسن، سيجنى البشر من خلفه الكثير، وهو التزام أمام الله، إن معاملة البشر تتطلب قبل أى شيء أن تتقى الله فيهم، والوفاء ما هو إلا جنين الأمانة، ومسامه الصدق، والأمانة تحتاج الصبر لأن المغريات كثيرة، وفى ظل غياب العين عن العين، يجد الشيطان مسالكه وكذلك مشابهي الشيطان من الإنس ليقوموا بما يقومون به، وإن الوفاء يحتاج إلى المجاهدة، مجاهدة الغياب والاعتراب، إن الوفاء قد يكلفنا الكثير، ولكن ما عند الله باق ولا ينفد، إن الخلق العظيم يتسم به الوفاء، والوفاء والأمانة وجهان لا يختلفا كثيرا وإن اختلف لغويا كلا منهما إلا أنهما يجتمعان فى الخلق العظيم، وإن من يجاهد من أجل الوفاء غايته، يتسم بالشيء العظيم فى سورة

الأحقاف آية ١٩ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، فإن جزاء الوفاء عند الله وانظر إلى توزيع الدرجات بين البشر وما ينتظر كل منا في سورة الأنعام ١٣٢ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

ولننظر إلى نهاية الآية ١١١ من سورة التوبة (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، ارتباط كلمة أوفى بكلمة بعهد، فأوف هو مصدر آف.

فأوفى بالوعد والعهد أى كَانَ عِنْدَ وَعْدِهِ، وَفَى بِهِ، إن الوفاء ثبات عهد وثبات عقد، ومن أوفى بعهده من الله؟؟

لقد جاء فى سورة النجم آية ٣٧ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ومعنى ذلك إن سيدنا إبراهيم بلغ رسالات ربه، بمعنى بلغ ما أرسل به مما حمله من أمانة فهو وفى بها، وجاء أيضا فى سورة مريم آية ٥٤ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا، ومن يلاحظ المشهد فى هذه الآية يجد قسوة الصدق وتحمل تبعاته انه يحتاج الصبر والمجاهدة فكلنا يعلم قصة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل، ولكن رغم صعوبة الموقف إلا أن سيدنا إسماعيل امتثل طائعا صابرا لأمر ربه : «يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين». الصافات ١٠٢، أى وفاء هذا وأى صدق هذا على العهد وأى طاعة، فالوفاء صدق وطاعة وامتثال، الوفاء صدق فى الوعد وطاعة لأمر وامتثال لقبول القضاء يا لها من رضى النفس والصدق بين البشر، إن الوفاء والصدق ابتلاء ومجاهدة، ومفتاح الوفاء والتوفيق والصبر والاحتمال مرتبط بعون الله ومشيبته، فاطلب العون من الله. فإن للوفاء حرارة تقل وتضعف بالغياب الطويل والموت

ومن أعظم الأدلة على وفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجته خديجة - رضى الله عنها - ما روى فى الصحيح أن عائشة - رضى الله عنها - أخذتها الغيرة من كثرة ذكره لخديجة - رضى الله عنها - وثنائها عليها فقالت له يوماً يا رسول الله: تقول خديجة.. خديجة - وهل كانت إلا عجوزاً أبداً لك الله خيراً منها؛ فتألم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر ذلك على وجهه وقال: «ما أبدلنى الله خيراً منها»، ثم جعل يعدد ما امتازت به زوجته خديجة على غيرها من

المآثر والفضائل فقال: «لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس فتألم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر ذلك على وجهه وقال: «ما أبدلنى الله خيراً منها»، ثم جعل يعدد ما امتازت به زوجه خديجة على غيرها من المآثر والفضائل فقال: «لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها الولد؛ فلا والله ما أبدلنى الله خيراً منها» فأخذت بذلك عائشة - رضى الله عنها - درساً ألا تذكرها بعد ذلك أبداً بدافع الغيرة.

إن الوفاء هو عهد وميثاق وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها سورة النحل ٩١ ويقول تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً الإسرائ ٣٤ إن الوفاء عهد وعقد ملزم يقطعه الإنسان على نفسه أمام الله «والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون» البقرة ١٧٧

إن الوفاء عهد مع الله، وعهد مع النفس، وعهد مع الناس، إن يغفل الوفاء مع الله ومع نفسه لن يكون مع البشر وفيها، والوفاء له ملامح كثيرة فى العقود والمواثيق وان لم تكن مكتوبة، والنية فى القصد من الوفاء بالعهد، فى قول رسول الله المسلمون عند شروطهم

وإن الدين الحنيف يحذرنا من نقض العهد ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون النحل ٩١

إن الوفاء مرتبط بعقيدة الإيمان، وان حساب المنفعة يضرب الوفاء فى قلب البشر، فإن نقض العهد على حساب مصلحة فى الدنيا أو مبرر مادى، فإن العهد والوفاء اقوى من ذلك ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون النحل ٩٥

إن الوفاء يجحده كل منافق حين يتحدث وحين يعد وحين يؤتمن وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالك «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا أوعده أخلف وإذا أؤتمن خان»، نضيف أيضاً «وإذا خاصم فجر». صدقت يا رسول الله حين قلت: «تركتم فيكم ما إن تمسكت به لن تضلوا بعدى أبداً، كتاب الله وستنى». فمن يبدأ؟

المقال الثامن إرهاصات عقل

حين تخلو داخل العقل فى لحظة صمت، حين تجد حجرة العقل جمرة ملتهبة، ينثر بداخلها رمادا من الرفات، فى كأس ملئى من العطش، وأصابه سهم القسوة، فانسكب فى غياهب العقل فاشتعل، ان الصرخات حين تعتلى من الصدر، فان الدموع تتناثر على الخدود تبتريها، تحولها إلى أخايد فى وادى الدموع، ويمر فى القلب الحزن الثقيل، أحادث نفسى أليس هناك من ابتسامة، أليس هناك من طيب حرف يهدئ من القلب روعته، أيهما نحتاج، غذاء المادة أم غذاء المشاعر، كم نبحث عن طعام يملأ البطن، عن لباس نتر به أنفسنا، وعن حلى نتزين به، أو قلادة حول العنق، فهل تطفئ كل الزينة نقص فى الأحاسيس، فالماديات لا تطفئ الجوع ولا رغيف الخبز يسد الرمق، إن الأحاسيس تفوق ملاً البطن، وتغذى العقل بالسعادة، والسعادة كلمة تخرج من الأفواه تحرك بداخلنا هرمونات الرضى والطمأنينة، فكفالة الرزق مضمون، نحن نرزقكم وإياهم» الأنعام (١٥١)، نحن نرزقهم وإياكم «الإسراء (٣١)، (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) الرعد آية ٢٦، فعلام كل هذا القلق من الغد، وان كنا لا نملك فى جيوبنا أو بيوتنا قوت الغد، إن مفتاح السعادة يصدا حين نشغل حالنا بدنيا إلى زوال.

فحين تعلقو الابتسامة فى قلوبنا تكون ابتسامة الرضى فترتاح وتهدأ وراحة القلوب يعاندها هواجس الطمع فى الدنيا ونحسب أن الدنيا هى ما نقتات، إن الإنسان إذا ما اقتات يومه، كفاه الدهر وما فيه، إن السعادة وجدت أينما امتدت ونمت جذور الرضى، حين تشبع النفس بعذب الكلمات والطمأنينة، لا على مال نخترن، ولا افخر الثياب، فكلنا سيذهب عاريا من كل ما عنده فى الدنيا، ويبقى معه كنز الرضى بقضاء الله، فإن الاستسلام لقدر الله مفتاح الفرج فى قلوب المحبين.

إن اهتزاز الأوراق على الأشجار إذا زاد عن الحد تساقطت، ونحن البشر بداخلنا رغبات ورغبات يوقدها الهواجس المقلقة والخوف من الغد، عن أى غد نتحدث، عن طعام؟ عن شراب؟ عن ملابس؟ عن ماذا إذن، إن تشبث الرضى لا يقوى رياح الدنيا على اقتلاعه، كلنا بداخلنا طفل الرغبة، يريد أن يمزح ويلعب ويستمتع، هذا الطفل الراض لعمرة ووضعه، هذا الطفل الصارخ، هذا الطفل الباكى، يهدا بقطعة من الحلوى، هذا الطفل يصرخ بداخلنا يرغب فى أن نعيد أيامه الأولى، حين تشتد الأزمات علينا، يصرخ هذا الطفل يعبث فى أرجاء أجسامنا، يرتطم فى جدار العقل ونسى الزمن الحقيقى داخل القلوب

إن احتضان الطفولة داخلنا لا تحتاج إلى قطعة من الحلوى، إنما ترغب فى حزن يلجأ إليه، يطفى لوعة البكاء، إلى صدر نرتمى إليه حين يغيب عنا الكثير، كلمة تمسح الدمع على أخايد الكبر، فىا لها من طفولة لا تكبر بداخلنا، رغم كل السنين.

المقال التاسع

انتقال الشقاء من الجوع، حين تغاير طبيعتك؟

إن البحر فى مساره الطبيعى، حين نبحر بسفينتنا، وحيث لا يوجد أمواج، أو أعاصير، وحيث لا يوجد اضطرابات، نصل إلى بر الأمان، وهكذا نحن، حين نعيش لحظات مضطربة، ينتج عنها ضيقا وانقباضا، وتتحول ردود الأفعال إلى غباوة، فإن الاضطرابات السوداوية تصل بنا إلى حالة من الشقاء، فمن منا يرغب فى شقاء نفسه؟ وشقاء الآخرين

إن مغايرة الفطرة داخل الإنسان، تسبب ردود أفعال منعكسة سلبية، قد تبدوا فى العين، قد تبدوا فى الصوت، قد تبدوا فى الهجوم الانتحارى من شخص على آخر، فيصبح الإنسان منفرا، مزعجا، وتخلى عن صفة النبل، ولن يتغير الإنسان تحت أى ظرف إلا إذا غير من نفسه وتفاهم مع نفسه وتصالح وتقابل مع نفسه بشكر النعم التى يفتقد حسها حين يدخل فى داخل نفسه وتتصارع بداخله جوارحه، فتطفوا على السطح دماء الذنوب واجترأ السيئات، رغم النعم المحيطة به (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) الأنفال - (٥٣)، لقد أنعم الله علينا بالعقل والقدرة وتسهيل السبل، ونحن نصارع أنفسنا بأنفسنا فى عناد من شكر النعم، وإذا بدلنا شكر النعم واتجهنا إلى الشحناء والضغناء ومخالفة الفطرة، تبدلت النعم بالنقم (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد - ١١، والنكد والكآبة والاكتئاب التى نصاب بها ما هى إلا من النقم، تموج بداخلنا فتحركنا كيفما شاءت اهواءنا، وطباعنا التى تنسى ذكر الله ومقاليد الأمور كلها بيد الله.

إن أغلب ما يزيد فينا التعاسة، ويحول حياتنا إلى نكد دائم وكدر، أن نقارن أنفسنا من تصرفات مع تصرفات الآخرين فنقع في دائرة التعاسة، ومما لا شك فيه أن النبات يتأثر بالتربة التي يزرع فيها، وكذلك الإنسان فإن الثقافة المحيطة به تؤثر على تكوينه، ومن هنا نرى أهمية التربية لسلوكياتنا منذ الصغر، ولكن هناك ما هو أغرب من ذلك هو الإرهاب النفسى، أو اصطناع الكدر أو النكد، لكى يخرج الإنسان من حالته تفاديا لمواجهة أى موقف، وهذه الطريقة من السلبيات السلوكية ليست محطة وصول أو صمام الغاز الذى يحكم عواطفنا، وان كان صامما، ما زلنا نحمل اسطوانة الغاز التى يمكن أن تنفجر فى أى لحظة، إن المشاعر المكبوتة تحتاج إلى قواعد السلامة، وان قواعد السلامة تتطلب اتباع النهج الإيمانى والروحى بداخلنا، فإن من يزرع الطيب فى قلبه، غير ما يزرع فى قلبه نكدا، والنكد وصف من النكد بفتح الكاف وهو مصدر نَكَدَ الشَّيْءُ إِذَا كَانَ غَيْرَ صَالِحٍ يَجُرُّ عَلَى مَسْتَعْمَلِهِ شَرًّا، فإن استخدام الأشياء بصورة خاطئة فى السلوك التربوى مثل النبتة فى وطن، وكل منا فى وطن نفسه، وأهله وطن، وذاته وطن، وانظر إلى الآية ٥٨ من سورة الأعراف «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ»، فإن التربية الخبيثة لا تنتج إلا نباتا غير صالح يجر علينا نوبات الاضطراب النفسى والسلوكى.

إن كل إنسان له من السلوك ما يميزه عن غيره، وهناك سلوك معيبة فى كثير، ولتغيير هذا السلوك فلا بد أن نعرف الأسباب، وإن معرفة الأسباب تؤدى بنا إلى تحديد حجم المشكلة، أو السلوك السلبى، وان الوقوف مع النفس والتأمل فيما داخل أنفسنا يؤدى بنا إلى المصالحة والتراضى مع النفس الهائجة التى لا ترغب فى أن تتعايش مع مفهوم السلامة النفسية، إن النفس بداخلنا نحتاج أن نتقرب لنعرف مفهومها ولنقرأ قول الله تعالى وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)، لقد أعلمنا الله مفهوم الطاعة ومفهوم المعصية (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)، إن التناغم الروحى مع التناغم الجسدى فى كيفية استغلال كل منهما يؤدى إلى الانسجام، وغالبا ما يحدث اضطرابات نتيجة انفصال التناغم بين الجزئين

(الروحي والجسدى) وان اكبر مشكله فى التناغم هو الإحساس بالجوع فى كل من الكيان الروحى، والكيان الجسدى، والجوع هو من باب التشبيه، وان صح لفظا فيكون المقصود هو تناقص أو اضمحلال الرغبات فى ظل ارتفاع الشهوات الصارخة فى قاع البشر، وهو أمر مخيف، وان الزينة فى الحياة من مشاهد تجعل النزاع قائما بين الكيان الروحى والجسدى، ومن لم يثبت على فطرته وعقيدته يحدث له الفصام الكامل، والصراعات النفسية والداخلية (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) آية ١٤ آل عمران، والشهوات فى الدنيا كثيرة

إن كثيرا من الأمراض السوداء من الكآبة، أو النكد أو الحزن، إنما يعزى لظاهرة الجوع الجسدى والجوع الروحى وهو أمر قد يبدو على كثير غير مقبول، ولكن نظام التغذية الروحية تحتاج إلى إشباع النفس بالمعتقدات الدينية والفطرة السليمة، أما الجوع الجسدى المقصود منه إشباع الرغبات مقابل الشهوات، إن سوء استخدام أسلوب الإشباع فى الجانب الجسدى من خارج الإطار الشرعى يولد الكثير من الأمراض النفسية، وان القضايا الاجتماعية من حالات الانفصال أو غيرها فى فقدان أى طرف عن طرف يزداد بداخل كل منهما الجوع الجسدى، (خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) والنفس ترغب فى حنين الأصل، وهذا أحد أسباب التوتر السلوكى لبعض الأشخاص إن لم تكن الأغلبية، وتظهر معها علامات الاكتئاب والنكد، لأن عجالات الحياة الطبيعية عند هذه اللحظة تكبح فى ظل ظروف غير اعتيادية، والجوع الجسدى يصرخ إلى تحرير العجلات من المكابح القابضة التى توقف القدرة على التحرك أو الانطلاق. وانه لتغطية الجوع الجسدى فقد حدد لنا الدين الكثير من المعالجات، ولا غرابة فى أن نولى لأنفسنا اهتمامنا لهذا الجانب، ولا اعتباره من الحيوانية بمكان، إن غياب الأشياء هو مثير الجوع داخلنا، سواء كان الغياب على المستوى المادى أو المستوى الروحى، والعلاج على المستوى الروحى يتمثل فى تعاليم الله وغذاء الروح بالقرآن الكريم وتعاليم هادى الأمة رسول الله، فالخروج من هذه الأزمة تتمثل فى اتباع الفطرة وغيض البصر. إن مفردة العزلة والإحساس بها، أى أن تعيش بمفردك أى وحيدا، تختلف فى الإحساس بها عن تطبيقها على أمر الواقع، وإن الوجود الفردى أو الوحدة

تقف وتحرك بداخلك صرخات الجوع وقضية الصراخ للأسف لا تحدد بوقت يمكن تلافيه، إنها الموج والإعصار والرياح وتسوء المسألة إن لم يكن لك خبره فى الطبيعة الجغرافية، سواء جغرافية الإنسان أو مورفولوجى التكوين، وان ثبات العقيدة والصبر على الابتلاء، يحتاج إلى ترويض النفس لا السماح إلى أطراف فستان يهزه رياح الرغبة، وان العين هى ما تثير بداخلنا الكثير إذا ما غضت، فغض الطرف هو حَفْضُهُ اسْتِحْيَاءً، لأنه فى ظل الجوع تبحث العين فى الإنسان عمن يحقق لها الإشباع، ولننظر إلى الآية ٣١ من سورة النور (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهُنَّ لِيُضْرَبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرَبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

ونعاود أنفسنا لنسأل كيف نحدث اتزاناً فى الجانبين، إن المدخل الصحيح أن نأتى الأفعال طبقاً لما فى العقيدة، وان الآية ١٨٩ من سورة البقرة التى تتحدث عن عادة كانت بالجاهلية فى إتيان الأبواب عند عودتهم بعد الحج من ظهورها فنهى عن ذلك وان يكون الإتيان من الأبواب الصحيحة، وارتباط ذلك بالتقوى، فعموم الآية يوضح لنا أن إتيان الأمر فى ظهره مخالف، فإتيان البيوت من أبوابها إشعار بأن الالتفاف غير مأذون به حتى ولو كان بسم الدين، «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

فلا غضاضة من الزواج، فى ظل ظروف الفرقة أو الوحدة، لأى طرف، وهو الفطرة، لان من يريد أن يجمع حريته فى طريق غير شرعى اعتقاداً منه، بسد نبضات الجوع الجسدى، وهو فى مأمن فهو يغفل اللقاء الأخير.

ان الإنسان وما يتحرك بداخله من فطرة وقدرة على تحمل البلاء والابتلاء والسراء والضراء هى من عبودية الله فى كل الأحوال، أما عبادة الله فى السراء فقط، لا تكفى، فكلنا مبتلون والصبر على الابتلاء فى منزلة المجاهدة (وَمِنْ

النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ سورة الحج (١١).

كثيرا ما تحركنا المشاعر الملهبة لتظهر في داخلنا نكدا كثيرا ينعكس علينا أولا يصل لحالة الاكتئاب سخطا عما يحدث لنا أو من قراءة التاريخ الشخصي بداخلنا من باب ندب الحظ، ولو علم كل منا أن البلاء هو مستخلص للذنوب كمن يخرج النحاس من الذهب ليصبح ذهباً نقياً، والله سبحانه وتعالى رحيم بعباده، يؤخر لهم، ليكافئهم، وإن القضية تتمثل في الصبر على البلاء والابتلاء وإلا تحركنا الأحداث المؤلمة جراحاً لا تلتئم، وبشر الصابرين على بلواهم .

إن المشاعر حين تضارب من الخفقان، تتحول إلى أمراض كثيرة، نراها في الصحة العامة من ازدياد التعرق، والرجفة، وألم بالصدر، والغثيان، وعدم السيطرة على التوازن بالإغماء، والشعور بالتنميل، وكلها من أثر النكد والكآبة والاكتئاب، إن إشغال القلب المحرك بمشاعر سوداوية، لتحركت أجسادنا فتأتى بما تأتى به فلو فرغ القلب من الذكر كالبيت الخرب تسكنه الخفافيش، والأوبئة النفسية، فالصبر على كل الأمراض الروحية من الابتلاء أو النكد أو الحزن وفقدان عزيز لنا، أو الإحساس بالوحدة مالنا غير الذكر طريقاً (اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) إن ما يخالف الفطرة يعكس بداخلنا إشارات خاطئة كمن يقود سيارته عكس اتجاه السير، وللأسف فإن معالجة بعض الأمور في حالات كثيرة، طبقاً لما يقال عنه بالعرف أو بالطبع السائد، ويكون مخالفاً للعقيدة أو الشرع فهو أمر يخالف وتحدث له تبعات من أبواب خلفية، كمن يتحايل على القانون، وهذا التحايل رغم صحته في بعض الأحيان إلا أن التصرف قد يحرك بداخلنا آثار الاكتئاب أو غيره من النكد الملازم من تصرفات قد لا يرغبها الآخرون بحكم انانية الذات والتحكم المطلق، ومخالفة شرع الله. إن الإنسان حين ينظر بداخلة، يتحقق من شيئين، أولاً الرفض القاطع للإحساس بالسجن، أو بأنه مسجون داخل هذا الجسد الراغب في إشباع كل ما لديه، الشيء الثانى الحرية المطلقة فى العقل والفكر والأحاسيس والهواجس التى تتحكم فى التصرفات كالأعاصير، من هنا نجد أن الصراع داخلنا هو صراع بين الجوعى، وفى لوحة تعبيرية أخرى قد يصل الأمر إلى العيش فى سوق

المتسولين، حين نتسول بعواطفنا، لرغبات قد نعتقد أنها مريحة أو مريحة، بل ربما تكون مدعاة للقلق، وتظهر فينا كثير من السلبيات السلوكية. إن التداخل بين الجوعى فى سوق الحياة، يجعل فينا منافسة على العيش، والجائع لا يتنازل، وهكذا تكون المتاهة فى سوق الحياة، إن الصراع الداخلى بين جوع الجسد وجوع الروح، يصيب الإنسان بالمزاج السلبي وخصوصا الكآبة والنكد، الذى يصل بنا يكبل عقولنا وتصبح الإرادة واهنة، هذا على المستوى الشخصى، وعلى المستوى الجماعى، فإن متحفزى الجوع داخل الإنسان تتأهب ولو فى غفلة الإنسان ذاته، ان تتذوق طعامها حتى ولو كان رميا، انها منغصات البشر حين تنازعه أعراض الجوع، وليس هناك الكثير ممن يشكر أو يحمد وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِ الشُّكُورِ (١٣) سبأ. ان هموم المشاكل حين نحتفظ بها ونحملها معنا فوق رؤوسنا أو فى أعمالنا، كمن يحمل الفيروس الحاضن، فإن الهموم بالنسبة للأشخاص أصحاب الأمزجة الصفراوية أو السوداوية بمثابة حاضن للميكروب، سرعان ما ينتقل للآخرين، ويصبح كمستنقع موحل يعج بطباع الكراهة المنفرة الكريهة.

إن العقيدة السليمة والفطرة السوية، تجذب لها نحل الوعى الفكرى والروحى، وإذا اختل بستان العقيدة لن ينجذب له نحل القيم والمبادئ فى ظل السلوكيات. ان الاسترسال فى السلوكيات السوداوية والخبیثة هو موت تدريجى وانتحار، يؤثر علينا وعلى الآخرين، وان الولادة الروحية فى بناء العقيدة والحفاظ على مراحل النمو لنا طول الحياة تؤهلنا لرؤية ومعينة ما ينتظرنا من نعيم وأكاد أجزم، بل أكرر فى كل مقالاتى، أن كل مشاكلنا بالكلية تستند إلى العقيدة وضعفها والإيمان بالله بشكل يقينى، وأن الإنسان أيا كان نوعه، أو فصيله فالكل أمام الله سواء، وان محبة الله والإيمان بالله هى مفتاح للدخول فى العقيدة وقراءة أوراقها وترتيب أثاث العقل من عقيدة راسخة تتحمل التقلبات التى نواجهها، إن الإيمان بالموت والذى يبعث الهلع فى نفوس الكثير منا لهو من حسن فطن العقيدة، فإن الإيمان بالحقيقة المطلقة وهى الموت لن يتأثر كثير من جوعى، فانتظار المكافأة كبير، (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) البقرة: ١٥٤-١٥٦

إن من يقترب إلى الصورة الذهنية لما يمر بنا من أحداث واضطرابات سلوكية عليه أن يتأمل أن الحل في كتاب الله وتعاليمه ولننظر إلى سورة القصص الآية ٥٠ (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ، إن الله لا يوفق لإصابة الحق وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته، وكذبوا رسوله، وبدلوا عهده، واتبعوا أهواء أنفسهم إيثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم، فلنتبع ما جاء به الكتاب، وما جاء فيه عن سير السابقين وما كانت معاناتهم، فجاء الكتاب تباينا لنا، ليرشدنا وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) القصص.

إن ومضة الرحمة تأتيك حين تعصف بك الهموم، وحين تفتقد حضنا دافئا يلم شعث قلبك، فسوف تجد يد الله حانية عليك، ترمم أعماق قلبك المكسور (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ). (البقرة: ١٤٣).

فلا تبتئس، وقم واذكر الله وتوضأ، وأتلو آيات الله ولا تنقطع عن ذكره ليخفف عنا في تدافع القلوب إلى ما تريد، فالصلاة والذكر طريق الهداية إلى حل الكثير، إن ومضات الرحمة كثيرة فلا تبتئس ولا تكن جزءا من الأفكار السوداوية.

المقال العاشر غياب البشر

بسم الله الرحمن الرحيم، وكالعادة بعد أن من الله على بصلاة الفجر، وكنت أقرأ فى سورة يونس وتوقفت عند الآية ٤٤ (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَوَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) والتي دوما أتوقف عندها، وقلت فى نفسى كم نحن غائبون، مغيبون، مبعدون، بعيدون، إلا من رحم، ولنبدأ بفهم الكلمات التى تدور حول معنى الغياب أو البعاد فغائب أى غير حاضر، وغائبا عن شيء أى شاردا، ورجل مُغَيَّبٌ أى أَبْعَدَ وَتَمَّ تَغْيِيبُهُ وَمُبْعَدٌ عَنُ أَي مَنَفَى عَنُ

وسواء كنا غائبون أو مغيبون مبعدون أو بعيدون كلها عندى تجتمع فى مقدمات السبب لحدوث ذلك ألا وهى الغفلة، فالغفلة يحدث بعدها الغياب، أو البعاد، ومن هنا حيث نقرأ فى سورة ص (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون. ما يأتهم من ذكر من ربهم يحدث إلا استمعوه وهم يلعبون. لاهية قلوبهم..) الآيات ٣-١ .

إن قضية الغياب هو أداة من أدوات استبعاد الزمن تحدث من أو فى غفلة فإن حدث ذلك فكانك تظلم فى غياب وتظلم من بعاد، فالغياب ظلم من الذئاب حين تنهش خلفنا، وكلاب تأكل لحم حضورنا، فالظلم بين حاضر نعش ومن غياب تُرك

والشخص الغائب أو المبعد هو الشخص الذى تلهيه الحياة لسبب أو لآخر، وفى كل حالة تختلف عن الأخرى، أما الشخص المغيب أى الشخص المبعد وكل حالات الغياب ما هى إلا الغفلة نحن غافلوها ما ندرى ما يحدث فيها سواء لأنفسنا أو لغيرنا، فهل سألت نفسك أن الغياب قد يكون ظلما لغيرك وأنت

تكون فى نفس الوقت بعيداً تُظلم، وأيا كانت المظالم فسببها الغياب غياب البشر فى دورهم، غياب البشر فى قناعتهم، غياب البشر فى حساباتهم، غياب البشر فى عدالتهم، فغياب البشر من لهو قلوبهم،

واللهى عابث يفعل بدميته ما يصيب به نفسه أو غيره انه لاه بنفسه ولنفسه ولغيره، ولا يجتمع اللهو والعدالة معا، وما جنينا من الغياب غير اللهو وما استمتعنا من بعد الغياب فى الحضور وأيا كان الظلم فى أى درجة نقع نحن أو غيرنا تحت مسمى ظالم فالظالم هو الجائر، الطاغى، مَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ بِلا حَقٍّ، فانظر إلى الآية (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) - يونس ٥٤

إن الإنسان الظالم فى الدنيا هو من يأخذ ثمرة عمل غيره دون أن يعطيه حقه، وهو مغتصب، آكل عرق وكدح غيره، ولو علم الظالم أن ما جمعه فى دنياه، لن يغنى عنه يوم القيامة ولو جمع كل ما فى الأرض، ولكن هيهات أن نملك أرض الآخرة، فلمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار وان الظلم لا يتوقف على الحقوق المادية فقط بل يتعداها إلى الحقوق المعنوية وكل تعدى على الحقوق المادية والمعنوية فهو فى طائفة قانون الظلم فى غياب البشر.

إن قضية غياب البشر من قضية ضعيف عقيدة البشر، وضعيف عقيدة البشر تتمثل فى الإيمان بما جاء به القرآن والرسول والإيمان به، فهل إذا فهمت الآية ٥٤ من يونس هل ستظلم أحدا، وأيضا إذا علمت أن هناك يوم نرجع فيه إلى الله، فكيف يرد الظالم مالا أخذه من حرام يوم القيامة انه الخسران المبين، فالكسب الحرام موجود فى الدنيا لا يقبل فداء له يوم القيامة، إن الظلم المادى فى أكل حقوق البشر بشكل أو بآخر، فليعلم الإنسان أن هناك يوما سَيُمَسِّكُ به وما فعل من ظلم، ولا يملك لنفسه شيئا ليُدافع بع عن ظلمه ومن ظلمهم.

إن الله يذكرنا فى آياته (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) (٤٨) البقرة ثم فى قوله تعالى (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ). (البقرة ١٢٣) فإذا نظرنا إلى الفرق بين الآيتين فى الأولى نجد أن

النفس الأولى هي التي تقدّم الشفاعة، والنفس الثانية هي المشفوع لها. والشفاعة هنا لا تُقبل من النفس الأولى الشافعة، وكذلك لا يُقبل العدل. أما في الآية الثانية لا تُقبل الشفاعة ولا العدل من النفس المشفوع لها، فهي تحاول أن تقدم العدل أولاً، ثم حين لا ينفعها تأتي بالشفيع، وهكذا جاء التقديم والتأخير في الآيتين مناسباً للموقف في كل منهما. وعلى ذلك نرى في الآية ٤٥ من يونس التي استوقفنني اليوم في القراءة بعد الفجر (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ) ففي هذا القول تعذر ملك النفس الواحدة لكل ما في الأرض، ولو ملكته فلن تستطيع الافتداء به؛ فيظهر على الظالم الحسرة التي تأتي إلى نفسه، إن من يرى هول العذاب يصعق ويبهت ويصاب بالدهشة والانبهار فتجمد دماؤه ولا يستطيع حتى أن يدافع أو يصرخ، فيكون ألمه بالحسرة في نفسه.

إذن الظالمون يُسرُّون الندامة حين يرون العذاب المفزع المفجع، والكلام هنا عن الظالمين، وهم على الرغم من ظلمهم، فالحق سبحانه يقول (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) وهذه قاعدة تطبيق بين كل العباد، كافراً أو مؤمناً لان الله يقضى بين عباده (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) والقضاء يتطلب عدم التحيز ويتطلب الفصل بين خصومتين، وفي النهاية فيا ليت كل من يظلم أياً كان نوع الظلم أو أدواته أن يرد مظلمة غيرة قبل أن يغادر الدنيا، في أى لحظة كانت فنحن في قطار الهجرة إلى الآخرة.

المقال الحادى عشر مواساة الجراح

إن الكلمات، حين نكتب أو ننتطق قد تعبر عنا، فى الصدق، ولا يستشعرها الآخرون إن كانت كاذبة، إنها كلمة الطمأنينة، وكلمة الطمأنينة لا تأتى إلا حين تفوض ربك أمام الآخرين، فالشراكة هى علاقة بين طرف وأكثر، قول الرسول الكريم: (أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر فإذا خانهُ خرجت من بينهما). إن الشراكة تتعدى حدود المعاملات، شراكة الأحاسيس، شراكة الغيبة، شراكة العمل، شراكة الحياة، وإن أكثر الشراكة إحساسا هو شراكة المغيب عن المغيب حين يغيب، إنها شراكة المبعد فى مسافات سفر، وما أصعبها من شراكة تحتاج إلى مراقبة الله فى كل تصرف، إن مراعاة الشراكة تجعل البركة وموفور العيش وطمأنينة القلب، واعلم أن نزغ الشيطان لن يتركك، لن يدعك تنعم فى بعاد أو شراكة، إن ما يطلقه الشيطان هو بث الشكوكية فى نفوس البشر، ورفض التصديق فى القول، فماذا أنت فاعل حين يحدث لك نفث الشك، ونفث التشكيك من الشريك، لتتذكر قول الله قال تعالى: (وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربّ أن يحضرون). (المؤمنون: ٩٧-٩٨)، وأكاد اجزم انه لن يتركنا فى أى لحظة، انه الشيطان يملأ الرؤوس، ويلعب دورا خطيرا فى حياتنا، ونحن فى حاجة إلى من يواسى مشاعرنا، حتى تلتئم، كيف والشيطان على رؤوس البشر، نحن فى حاجة إلى الصفاء لا إلى حروف صداها عاليا رنانا تحمل بداخلها نقاط المكر، ان من يغير ميزان الكلمات داخلنا الشيطان الأعظم، الذى أقسم ألا يترك أحدا، حتى ولو فى اللحظات الأخيرة، نريد أن ننعّم فى حياتنا، بدلا من أصداء الانهيار، إن كثيرا من القضايا، والمعقد منها، نرى أن خروج البركة منها، مرتبط بهمزات الشياطين، فحين يهمس لنا أو يهمز، والهمز عبارة عن الهمزة : صوتٌ شديدٌ، مخرجه

من الحنجرة ولا يوصف بالجهر أو الهمس وتكون الهمزة من حروف المعانى، فتستعمل فى النداء، لنداء القريب، ف أبْنَى؛ وفى الاستفهام، فَيُسأل بها عن أحد الشئئين أو الأشياء، إذن فالهمز هو سؤال يطرحه الشيطان للنداء عليك فتحضر عقلك إليه، أو سؤال استفهامى غرضه التشكيك والاستفسار ليحول عنك مسار الحقيقة، والسؤال الأعظم كيف تميز بين همزات الشيطان وبين عقلك الواعى؟ إن العقل الواعى يرفض تكرار المعصية، وهمزات الشياطين تحبب لك المعصية وتكرارها وإن إبليس بأعوانه وجنوده الذين لا حصر لهم إلا بعلم عالم عزيز حكيم، يتلبس على بنى آدم بجميع فئاتهم وأماكنهم ومراكزهم وليس هناك أى أحد من خلق الله بعيداً عن إغواء هذا العدو اللدود الذى أقسم بعزة الله عزة أنه سيغويهم كما فى قوله تعالى فى (سورة الأعراف ١٦-١٨) قال فيما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قال فاخرج منها مذموماً مدحوراً، كُنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لِأَمَلَنْ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) فإبليس رأس كل خطيئة، وكل منا وقربنه من الشيطان معه، حتى نبينا صلى الله عليه وسلم، إلا أن الله عز وجل أعان نبيه صلى الله عليه وسلم على شيطانه فأسلم والحمد لله على هذه المنة، والمعصوم من عصمه الله عز وجل.

وسبحان الله فى الآية (ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)، أن يأتى الشيطان من كل اتجاه إلا من فوق الرأس ولم يقل: «من فوقهم»، لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم.

إن غياب اللقاء فى الحروف التى نبحت عنها فى كلمة، ومواساة الجروح فى حبنا للآخرين، واندثار الصفاء من شظايا القلوب المريضة، وغياب الأجساد المتراحمة من شراكة ربانية، والأيدى الرحيمة حين تحن علينا ولا نجدها، فحين يغيب عنا حجم الألم الذى نسببه للآخر، ويغيب عنا الأحبة بابتسامة غاربية، فى عيون البشر، وتتلون بالكبر، فتصبح كل هذه الأشياء مقصلة لا تقبل الرحمة والتراحم، فما أصعب مواساة الجروح فتسبب خروج رحمة الله فيما بيننا، بمباركة شيطانية نسمح له بالمرور، فمواساة الجرح تتطلب رحمة القلوب بيننا، وإبعاد همزات الشياطين.

المقال الثانى عشر الكراهية تطرف

كيف ملأنا بها الوعاء؟

إن القياس والحكم على الأمور أصبح شاقا، فلم تعد هناك وحدات قياس مطلقة، وأصبحت الوحدات القياسية نسبية، فتعددت الأمور وأصبح المطلق نسبيا، والنسبى مطلقا، فاختلف ميزان العدل، كم تمر الكلمات من أمامى فأحاول بقدر المستطاع أن أدققها كى أصل لمعناها الحقيقى، ولم تعد المعادلة المعتدلة تأخذ منحى واحدا، بل تعدت وتجاوز حد الاعتدال، فأصبحت المعادلة على أمر الواقع مجرد شد وجذب بين طرفين يحاول كل منهما أن يثبت صحة مقولته أو رأيه، ويغالى طرف على طرف فى وجهة نظره، ويصبح حد الاعتدال متفاوتا ما بين التطرف ليصل إلى الكراهة أو إلى الاعتدال المنحرف لصالح من يرغب أن يصير رأيه صحيحا دون سند، على الرغم من أن كل طرف يبذل جهده لإثبات صحة ما يقول، فالى أى سند نركن حتى تظهر أمامنا الحقيقة المطلقة، لنقرأ قول الله تعالى فى سورة (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) آل عمران). إن الوصول إلى العدل والنصفة لهو أمر شاق على من لا يتخذ المنهج السليم، إن الدعوة واضحة فى كتاب الله مهما اختلفت الفرق والأطراف، هى دعوة لكل الأطراف ان اقبلوا إلى كلمة ذات عدل وإنصاف وهذه دعوة إلى كل الأطراف. لكلمة السواء وهى لمصدر مستوية أى هلموا إلى كلمة لا يختلف فيها القول أو الكتب المنزلة أو حتى الرسل لأنها كلمة عادلة مستقيمة ليس فيها ميلا عن الحق.

إذن لم تعد المسألة على أرض الواقع هى لمجرد الشد أو الجذب بين فكر وآخر إنما يعزى إلى اتخاذ المرجعية التى توضح كل الأمور. إن التبريرات فى

فهم نص أو فهم الاجتهادات المضادة والقائمة على قناعة شخصية تتجاوز حد الاعتدال قد تصل بنا إلى التشدد، وان التشدد فى موقف يصل بنا إلى التطرف وتكون النتيجة الطبيعية القطيعة وهى السائدة حالياً وصلت إلى حد الكراهة، إذن عدم اللجوء إلى كلمة سواء والميل إلى فكر معين يتبعه سلوك متكرر يخرج عن حد الاعتدال ليظهر عملاً باستخدام العنف المتشدد سواء فى الإرهاب النفسى أو المادى أو الفكرى.

إن الجمود الفكرى والتعصب هو جمود عقائدى لا يرتكن على كلمة سواء، فلك أن تتخيل الآن هل تقبل عبادة الأصنام؟ إن الجمود الفكرى العقائدى النابع على فلسفة ومناخ فئة والاعتقاد بالصدق فى الأفعال، يؤدى إلى ظهور على السطح إلى البلطجة، والتعصب حالة من الكراهية تتسم بالجمود وعدم المرونة.

وان التعصب المؤدى إلى الكراهية ما هو إلا انحراف عن معيار العقلانية للسلوك المثالى، ويظهر فى صور متعددة من رفض أو تعديل أو تعميم مفرط أو لمجرد التفكير فى إطار نمطى لقوالب فكرية جامدة. إن العنف فى التعامل بين البشر الذى يحمل بداخله الكراهية بين الناس، وهى ظاهرة يصعب تفسيرها ظاهرياً ولكن بالتعمق نجد ان عدم الرجوع إلى مرجعية حقيقة هى التى تؤدى إلى الانحراف عن حد الاعتدال.

إن الخدعة الكبرى التى يمكن أن نراها أمام أعيننا هى محاولة الترتيب قولاً لا يواجه الحقيقة، إنها مغالطة النفس فى أن تكذب لتصدق نفسك وهذه من الخدع الكبرى التى تؤدى إلى ثقافة الكراهية وان الرفض المتمثل فى انعدام القدرة على التأمل يعتبر من الظواهر المرضية فى المجتمع، وان الاندفاع الوجدانى المبالغ فيه والسلوك الزائد عن حد الاعتدال لهو من فرط السلوكيات، يتولد بداخلها الكراهية المطلقة ان أخطأ طرف مقابل طرف، ولا مجال لقبول الأعذار، وانمحت فيما بيننا لغة التسامح.

فمن يعلم بل يدرك مفهوم السماحة التى تطرد الكراهية بين الناس وتزرع فى القلوب السلاسة واليسر، إن آثار الكراهية المنبثقة من العنف والتطرف تؤدى إلى تدهور اقتصادى بالمجتمع كما نرى لأن الإرهاب والكراهة والتعصب

لا يعتمد على الإبداع العقلي بل على الانحراف الفكرى، فإن تدهور القدرة العقلية على الإبداع والعجز الفكرى يؤدي إلى المنحنى الرجعى أى إلى منحنى يمكن أن نطلق عليه منحنى أحلام الماضى، الذى يغلق معه إغلاق باب الإبداع والفكر، وإذا كان حرية الإبداع الموجودة لا تتواءم مع حد الاعتدال فتعتبر أيضا من الإرهاب الفكرى الذى ينخر فى المجتمع ليهبط بقيمة إلى القاع، وان الحرية الفكرية هى التى تنير ولا تؤذى أخلاقيات الأمم.

إن التسامح كسمة فى الإنسان لهو من باب الخلق الكريم فى التعامل فيما بيننا ولنا فى الحديث الشريف أتدرون على من حرمت النار؟ حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الهين، اللين، السهل، القريب)، فأى كرم بيننا يحرم النار على من تسامح وتصفح وعفى وغفر و لان جانبه الناس.

والتسامح أصل يدل على السلامة والسهولة، فى التعاملات والتسيير وعدم القهر، بين الأشخاص وان اختلفت عقائدهم أو دياناتهم ولنا فى كتاب الله فى سورة البقرة ١٠٩ (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

إن حسن المعاشرة مع الآخرين مهما اختلفت عقائدهم هو منهج الإسلام الذى سار عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ودعت له النصوص الشرعية. إن لين الجانب وحسن المعاملة من الصدق والوفاء بالعهد وعدم الغدر لا يخلق مجتمعا متطرفا ولا فئات ضالة لا تعرف حقيقة الاعتدال، وان العقائد مهما اختلفت إلا أنه لا تفاضل بين العقائد وانظر إلى سورة البقرة آية ١٣٦ (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

إن المعاملات التى نراها الآن بين البشر لا تستند على مرجعية حقيقية، انه التطرف والإرهاب الفكرى، فكر العنف والقسوة، ليصل إلى حد الوصاية على الآخرين، وان اخطر ما فى الإرهاب الفكرى هو الرقص على العواطف سواء بالادعاء أو المغالاة، إن استباحة الأشياء دون أن لا نملك منها شيئا ما هى إلا

نوع من السرقة، فالإرهاب نوع من سرقة مقادير الشعوب أيًا كانت صورته،
وان حد الكراهة النابع و المسقى من ثدى الإرهاب والعنف لهو ضلال فكر
وانحراف احل باطلا.

وان العشوائية الفكرية التى أصبحنا نراها الآن لسوف تدمرنا حتى تصل بنا
إلى حافة الهاوية، لقد وصلت الكراهة فيما بيننا إلى عدم الإحساس إلى الانتماء
أو الولاء إلى الأرض التى نعيش عليها، وفقدنا إحساس الأقدام حين تطأ أرض
الوطن وكأن الوطن ليس وطننا، فصرنا فاقدى الإحساس، بأرض ووطن. ان
فيروس الكراهة والكراهية المتفشى فينا شوه هوية الوطن وجلب لنا الكثير من
الخسائر، وعجزنا جميعا عن قول الحمد لله الا من رحم.

إن الضحية الكبرى هى الأجيال القادمة المسطحة فكريا وبقصد، بإنشاء فضاء
فكرى فارغ له حتى يفرغ هويته ويتبع ذلك الولاء والانتماء، ويصبح الوطن
طاردا لأبنائه، إن الحققد المتوارى بين البشر يظهر جليا بيننا لان العدل مفقود،
وسيف الحق ننتظره فى مولود، فهل أنت على أرضك موجود؟

المقال الثالث عشر الخبايا فى منظور الخلق

هو الخوف، ما يدفعنا لأن نتواري، خلف من؟، وخلف ماذا؟ ماذا يعيبننا؟ حتى نتواري، حتى نخبأ أمرا، إن ما نخفيه وما نبديه يعلمه الله، لقد ضاعت فينا ملامح كثيرة، ملامح أنسانيها شيطان البشر داخل نفسه، خوفا ممن؟ ولمن؟ ولماذا؟ وهل ما نخفيه لأنه خبايا العورة فى نفس البشر الذى يحتل بين نفسه صورة تختلف عما يبديها، فلسنا ملائكة ولا ندعى الكمال ولكن علينا أن نسعى إلى الخلق والاتصاق النفسى داخل أنفسنا لهو أمر جميل، إن الخبايا داخل أنفسنا تجعلنا نصل إلى مرحلة من الفصام النفسى والسلوكى العائد إلى ضعف العقيدة، وان جرجرة الألسن من صنع قرين البشر حين يهيم ويوسوس، هل نتذكر قول الله تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (١٩) - غافر، إذا كانت الآية تتحدث عن إضمار النفس بما تخفيه الأعين عما يمر أمامنا، وتحدثنا بها النفس فما بالناس كيف يكون ما تضره النفس بما تخفيه الصدور ليس فى عين ترى أو لا ترى إنما بلسان يضمّر نوايا لا يعلمها إلا الله، إننا إذا نظرنا لقوله تعالى ((وإن تجهربالقول فإنه يعلم السر وأخفى)) سورة طه، آيه ٧، نعلم أن اللسان ينطق والقلب لا ينطق بما فيه، وفى القلب أسرار كثيرة تخفى ما يبديه اللسان فى حوار، ولكن علم الله فوق كل شيء، ان القول فى السر والعلن مراقب، أمام الله ونحن البشر نخفيه، السؤال لما نخفيه، وما الدافع لذلك، ان الإجابة على السؤال، تشعرنا بخوف كبير من أنفسنا أمام الغير، وان كنا نخاف فلنمسك شفاهنا من اللفظ فيما نخبئه، حتى لا نثير شكا أو لبسا أمام الآخرين، وان الشك نقت من نقت الشيطان، يبعث بها رسله فى اذن المتحدثين، لشعل النار بين الأطراف ويسيء كل منهم للآخر، وتحدث الفتنة، فهل نثريث فى الفعل، هل نستطيع ضبط تصرفاتنا، هل نستطيع إحكام

السننتنا، و لننظر لهذه الآية الكريمة (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) - التوبة)، إن كثيرا منا له الحق فى أن يحتفظ لنفسه ما يخفيه، ولكن طريقة الإخفاء تتطلب أشياء كثيرة، فى ألا نجرح معها الكثير، وإن الخلق الكريم يتطلب مراعاة التفوه بالحرف، وإن معيب الحرف من معيب الخلق، وإن الريبة تنهش فى صدور الصدق، فالصدق غشاء رقيق يحرقه الكلمات الطائشة، وإن كانت غير معلنة فى التصرف أو القول، وإن أدب الخلق من جمال الحرف فى اللسان، إن تعرى الحقائق قد تخجلنا، وإن من يتعمق فى الآية (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) - غافر) يعلم أن هذه الآية إن لم تكن موجودة وكان الإنسان لديه القدرة على قراءة الصدور، لصارت المشاحنات بين البشر والافتتال، ولذلك أخفيت الأسرار بداخلنا عن بعضنا وهذا رحمة من الله علينا، إننا لا نتحمل ما يضر به الآخرون تجاهنا صدقا كان أو كذبا، إنها الرحمة من الله، فهل لنا أن نرحم الآخرين فى أفعالنا؟!

خبأ من القول ما شئت فى ليل غسق

فى الصدر مخزون محاسب ما يحترق

إن السر فى الصدر على قدرٍ يستلق

فعند الله السرائر وكتاب أعمالنا بالعنق

أخفيت فى اللفظ ما تبديه حرجا يَحْتَنِقُ

فإن شفاف القلب للصادقين تبيانٌ سبق

إن دق القلب فى غصة فشغافه تَحْتَرِقُ

فاعلم بأن دليل الكذب محبأ بلفظ سبق

وما نخفيه فى صدورنا يعلمه من خَلَقُ

والتقوى منزلة الكرام أنخشى بشرا خُلِقُ

الخوف من عورة بلسان كذب نَخْتَلِقُ

وخلق الكريم فى عِفَّةٍ من لسانٍ خُلِقُ

فأفعل ما شئت وألهم بفعل منه تَخْتَلِق
نسيت عرضاً نُعرض على رب من خَلَق
الدين عور وستر العورة لا بكذب نختلق
الستر في أدب لفظ نحن نصنعه من خُلِق

اللهم إن لك على حقوقا كثيرة فيما بينى وبينك، وحقوقا كثيرة فيما بينى
وبين خلقك إلهى بحق اسمك العظيم الذى إذا دعيت به أجبت وإذا سألت به
أعطيت، ما كان بينى وبينك فاغفره لى، وما كان لخلقك فتحمله عنى يا أكرم
الأكرمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم